Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :08, N° :02 – 20 December 2018

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 08، العدد 02 – 20 ديسمبر2018

تطبيق المناهج الغربية على التراث الإسلامي مُحَّد أركون نموذجا

The application of Western curricula to the Islamic heritage, Muhammad Arkoun as a model

محمودي خليفة*

جامعة وهران2 مُحَّد بن احمد/ الجزائر (khelifafilo@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2018/09/02 ؛ تاريخ القبول: 2018/11/28 ؛ تاريخ النشر : 20 /12/ 2018

الملخص

يراودك الشك والحيرة معًا، عندما تتناول موضوع شاسع الأطراف، متداخل الأفكار كثير الحساسية، منغلق على ذاته، هذا ما يراودك عندما تتكلم عن التراث الإسلامي وما تركه من أفكار ومخطوطات دالة عليه، إن من يصعد جبال التراث يندهش من كل المآسي مسرحيات كانت أم حقيقة، إن الحاجة إلى دراسة التراث لم تبلغ من الإلحاف مثل ماهي عليه الأنذلك أن العقل الذي يسلم بالقضايا الجاهزة والمطلقة دون نقد وتفكيك، هو عقل جامد متحجر. وفي الوقت الذي يخفق فيه العقل العربي أن يطرح مشكلات التراث طرحا جديداًيظهر دارس المناهج الغربية لدراسة التراث الإسلامي من جديد.

.

الكلمات المفتاحية: : التراث الإسلامي . النص الديني . الألسنية . الأنثروبولوجية . المنهج التاريخي . المنهج السيميائي . المنهج الأنثروبولوجي.

Abstract

Doubt and confusion come to you together, when you address a topic that is vast, intertwined with highly sensitive thoughts, closed in on itself. This is what comes to your mind when you talk about the Islamic heritage and the ideas and manuscripts it left behind. Those who climb the mountains of heritage are amazed by all the tragedies, whether they are plays or real. The need to study the heritage is not as intense as it is, because the mind that accepts ready and absolute issues without criticism and deconstruction, is a rigid and ossified mind. At a time when the Arab mind fails to present the problems of heritage in a new way, the student of Western approaches to studying the Islamic heritage appears again.

Keywords : Islamic heritage - religious text - linguistics - anthropology - the historical method - the semiotic method - the anthropological method...

مقدمة:

* الباحث المُرسل:

ان أي مفكر في علاقة العلم بالتراث في المجتمع الصناعي الحديث، يجد ذاته في الحديث إبان دراسته دراسة علمية صحيحة. إن هذا التأثير الذي أحدثه العلم على المعرفة قد يؤدي إلى مفارقة حقيقية بين مؤيد لتطبيق العلم المعاصر على التراث، وبين معادي له.وتزداد الدهشة والمفارقة عندما تريد دراسة التراث دراسة تعتمد على المناهج الفلسفية المعاصرة، هذا ما أراده المفكر الجزائري محمد ركون، حيث حاول تطبيق المناهج الغربية على التراث الإسلامي، ونظرًا لتشبع أركون بالفكر الغربي عموما والفكر الفرنسي خصوصا، فلا يكون جديد على مستوى الفكر الغربي، إلا ويكون أركون سباقا للحديث عنه، وتطبيقه على التراث الإسلامي.

الإشكالية:

إذا اعتبرنا أن التراث الإسلامي قد غلف بغلاف القداسة واختلاط التاريخي مع الأسطوري.فكيف تعامل محمد أركون مع هذا الزخم المعرفي الكبير؟. وكيف طبق المناهج الغربية على هذا التراث؟.

محاور البحث: اعتمدنا على ثلاثة مباحث هي :

1/ المبحث الأول: المنهج السيميائي (الألسني).

2/ المبحث الثاني التحليل الأنثروبولوجي للتراث.

3/ المبحث الثالث: القراءة التاريخية للنص الديني.

منهجية البحث.

انطلاقا من طبيعة الموضوع سنعتمد على المنهج التحليلي النقدي، لإبراز موقف محمد أركون من تطبيق المناهج الغربية على التراث الإسلامي والنص الديني، من أجل نقد وتفكيك هذه الرؤية، وهل تتوافق مع طبيعة هذا التراث.

الكلمات المفتاحية.

التراث الإسلامي . النص الديني . الألسنية . الأنثروبولوجية . المنهج التاريخي . المنهج السيميائي . المنهج الأنثروبولوجي .

المبحث الأول: المنهج السيميائي (الألسني).

لقد عاش محمد أركون في فرنسا ودرس في أهم جامعاتها أي السوربون، مما جعله يستفيد بشكل كبير مما حصل في أوروبا في القرن 19 فيما يتعلق بالمنعطف اللغوي، حيث تأثر تأثرا بالغاً بمصطلحات ميشال فوكو مثل " المنطوقات" " والخطاب" . كما تأثر أيضا بالأعمال الأدبية التي قام بها دي سوسير في كتابه" دروس في الليسانيات" كما تغذت اللسانيات بالأبحاث التي قام بها شارل بيرس(1839. 1914) وغيرهما[1].

نجد محمد أركون يعيب على العصر الحالي في العالم الإسلامي، عدم تطبيق الألسنيات الحديثة في فهم النص القرآني، وحجروا على التفسير الكلاسيكي الذي لم يكن يعرف هذا بعد. يقول: <<كان التفسير الإسلامي يجهل بالطبع الألسنيات الحديثة التحليلية للنص، ويجهل نظرية القراءة المعاصرة أيضاً، فقد كان الطبري مثلا يستطيع أن يسبق بكل سذاجة تفسير من تفاسيره بالعبارة التالية: يقول الله. لكأنه يستطيع أن يعرف بالضبط مقصد الله من كلامه ويشرحه حرفياً. وهذا الاعتقاد الساذج يفترض ضمنياً وجود تطابق تام بين التفسير ومقصد المعنى والدلالة... والواقع أن التفسير الإسلامي المعاصر لم يتخلص حتى الأن من هذه السذاجة>>[2]. إن حجر التفسير على رأي واحد، هو جعل التفسير مساوي للكلام المفَسر. أي كلام المفسر يساوي كلام الله. وكان الطبري هنا حسب تعبيره الدوغمائيقد فهم ما قاله الله. فأصبح تفسيره فهمًا كاملاً لكلام الله، وأصبح مساويا له، وهذا حسب أركون موطن السذاجة، فالألسنيات المعاصرة تبطل مثل هذا الإدعاء الزائف.

يذهب أركون أن مثل هذه السذاجة في تفسير كتب التراث، تفرض أولوية التحليل السيميائي لهذا المنتوج الضخم المتحجر لذلك يقول: <<إنني لا أزال مصرا على موقفي، ولا أزال أقول بأن التحليل السيميائي ينبغي أن يحظى بالأولوية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالنصوص الدينية التأسيسية ذات الهيبة الكبرى فالتحليل السيميائي يقدم لنا فرصة ذهبية لكي نمارس تدريجيا منهجا ممتازا، يهدف إلى فهم كل مستويات اللغوية التي يتشكل المعنى من خلالها>>[3].نجد هنا محمد أركون يعبر بصرامة في عزمه عن احداث القطيعة بين المنهجية التقليدية والمنهجية الابستيمولوجية الحديثة، في قراءة التراث وعقلية ودوغمائية الإسلامي، أو ما يطلق عليه المستشرقون بالإسلاميات.

---

[1] مصطفى كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمّد أركون، ص 291.

[2] محمّد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص90.

[3] محمّد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر، هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2001، ص ص 34، 35.

Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :08, N° :02 – 30 December 2018

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 08، العدد 02 – 20 ديسمبر 2018

وذلك من خلال تطبيق العلوم والمناهج الحديثة على هذه المنطوقات. حيث يقول: <<لهذا السبب نقول بأن القطيعة تبدو جذرية بين الباحث المتموضع في نقطة ما قبل الطفرة السيميائية الدلالية، وبين الباحث المتموضع في نقطة ما بعد الطفرة. ولم يعد ممكنًا اليوم إقامة أي حوار في العمق بين هذين النوعين من الباحثين>>[4]. إن جوهر التحليل السيميائي هو دراسة النصوص بناءًا على العلاقات الموجودة بين المُخَاطِب والمخَاطَب، وهذا بالاستناد إلى النص. ولذلك يقول بول ريكور "لكن المتخاطبين في التحليل البنيوي لا يجب البحث عنهما خارج النص"[5]. وهذه العلاقة بين المخَاطِب والمخاطَب، أي بين الله من خلال القرآن، وبين المستمع أي المتلقي لكلام الله، قد زالت جراء حجر التفسير على رأي واحد مثل تفسير الطبري، فهذه العلاقة بحسب السيميائيات المعاصر يجب أن تبقى قائمة بين المخاطب والمخاطب. فكل يفهم النص كأنه يخاطبه هو ويفهمه بعقله لا بعقل غيره، فالمعرفة للنص على ثلاثة اوجه: وجه تراه أنت، ووجه أراه أنا، ووجه لا يراه كلانا، لذا حصر التأويل والتفسير على ما تراه أنت مجافاة للصواب واحتكار للفهم.

الباحثون الكلاسيكيون في نظر أركون يركزون جميع جهودهم على جمع الحقائق دون تحليل تفكيكي نقدي لما جمعوه. حيث يعطي لنا محمد أكون تجربة عاشها بنفسه من خلال قوله: <<سوف أضرب مثلاً على ذلك عشته شخصياً، كنت قد حاولت في السياق تقديم دراسة ألسنية وسيميائية دلالية لسورة الفاتحة، لكي أبين بالضبط مدى القطيعة الإبستيمية الحاصلة بين الفكر الضمني الذي يستند عليه كل التفسير الكلاسيكي ، وبين القارات (أظنه خطأ مطبعي : القراءات) الحديثة للدلالة والمعنى التي تتيح لنا استكشافها علم الألسنيات والسيميائيات الحديثة>>[6]. حيث اكتشف العديد من القارئين لهذا التحليل، بالحكم عليه أنه ليس جديد ولم يضف شيء. مما جعل محمد أركون يحكم على أن هؤلاء لم يتخلصوا بعد من القراءات الكلاسيكية، ولم يعرفوا بعد السيميائيات الحديثة ودورها في دراسة المخطوطات والمنطوقات.

ينطلق محمد أركون من قراءة سورة التوبة، قراءة ألسنية سيميائية ثم تاريخية ثم أنثربولوجية، لكي يساعد الديني على تغيير نظرته أو تعديلها لكي يفهم الأمور على ما هي عليه ويبدأ من الآية الخامسة من صورة التوبة. من قوله تعالي : <<فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا

---

[4] محمَّد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 88.

[5] بول ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ص 116.

[6] محمَّد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 88.

سبيلهم إن الله غفور رحيم>>[7] . يبين أركون أن هذه الآية قد أحدثت حرجا بالنسبة للمؤمنين مع مبادئ حقوق الإنسان العالمية الحالية، فيذهب هؤلاء إلى الاعتماد على آيات أخرى تبين العكس من هذا. وأن هذه الآية محددة وهي تستعمل في جانب ضيق فقط. لكن أركون يدعونا إلى قراءة مخالفة من خلال تطبيق علم السيميائيات الدلالية، يقول ان الآية الخامسة: <<لا يمكن ان تقرأ خارج بنية العلاقات الكائنة بين الضمائر الشخصية، أو خارج إطار التوصيل والتفاهم المشترك الشائع في كل الخاطب القرآني>>[8]. إن موضوع الدراسة الألسنية بالنسبة لأركون هو <<المعطيات الشكلية والنحوية والمعنوية والبلاغية والأسلوبية والإيقاعية الخاصة بالقرآن، والتي يمكن حصرها والكشف عنها علميا>>[9].

فالخطاب في صورة التوبة لا يخرج عن الثلاثية التالية: أنا (أي الذات المطلق الله) ونحن أي الجماعة المؤمنة (وفي مقدمتهم محمد)، وهم أي (المشركين والضالين والمنافقين)، فهذه الدلالة السيميائية لضمائر لها وقع كبير في الخطاب القرآني. فنحدد من خالها توجه الخطاب وتغيير اللفظ والمعنى. فأنا يعبر عنها بالقداسة والطاعة والحب، في حين أن نحن توصف بأوصاف لائقة ومحبوبة، أما هم فيوصفون بأوصاف الذم والقتل وغيرها "ينبغي ألا ننسى أن الله والنبي والمؤمنين والكفار. ليسوا إلا تسميات مريحة وسهلة تدل على أدوار محددة داخل التشكيلة السيميائية وعلى مضامين معينة داخل الحقل السيمانتي والمنوي الخاص بالخطاب القرآني الذي يمكن فصله عن العمليات الاجتماعية التي ولدته، أو التي يمثل تجليها اللغوي المتسامي (أو الذي يتسامى بها)"[10]. فهذا التسامي للخطاب القرآني يجعلنا نعيد النظر حتى في المناهج الغربية، لإخضاعها لإعادة الغربلة، لأنه يجب أن ننتبه إلى خصوصية اللغة الدينية كونها لغة طقسية شعائرية، مرتبة بالذات المطلقة التي تنفصل عن الواقع الاجتماعي ولهذا يقول: <<ينبغي عدم استراد المناهج هكذا وإلصاقها لصقا، على المادة المدروسة، ذلك أنه ينبغي إعطاء الكلام للنص أولا، وطرح الأسئلة عليه

[7] القرآن الكريم سورة التوبة، الآية (5).

[8] محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص93.

[9] المصدر نفسه، ص 72.

[10] المصدر نفسه، ص 100.

ومن خلاله قبل تطبيق أي منهجية أجنبية عليه. إن المادة هي التي تفرض اختيار المنهج أو ذلك، وليس المنهج هو الذي يخضع المادة المدروسة لمفاهيمه وقوالبه تعسفا>>[11].

فاللغة الدينية بطقوسيتها وشعائرها لا بحروفها فقط، لأنه لو أخذ النص الديني بالنسبة للمتلقي ككلام فقط بدون شعائر قدسية لما أخذ هذه المنزلة في قلوب المتلقين. فاللغة الدينية <<تفرض علينا أن نأخذ بعين الاعتبار المتلقي، لأن الشخص عندما يقوم بعمل تعبدي بأي لغة كانت سواءا لغة القرآن أو التورات أو الإنجيل فهو لا يعبر بواسطة الكلمات التي يلفظها بل بواسطة الطقوس والشعائر، فهذه العملية تأخذ مجموعة من الحقائق الدالة لا يمكن للدارسين اغفالها. إذ أراد الأخذ بعين الاعتبار مستويات الدلالة والمعنى للغة الدينية>>[12]. يدعونا أركون إلى عدم اغفال العلاقة بين اللفظ والعمل، أي بين اللغة الدينية والشعائر التعبدية، لأن هذه اللغة لها مكنون لغوي لا يفهمه إلا المتعبد . لذا وجب مراعاته قبل أي تحليل.

2/ المبحث الثاني التحليل الأنثروبولوجي للتراث.

لقد دعا محمد أركون إلى تطبيق علم الأنثروبولوجيا على الكتاب المقدس، للنزع التهويل والتمويه والقداسة، وندرسه في إطار الزماني الذي كتب فيه "ولكن هذه العملية الكبرى من نزع علاقات التمويه والتهويل والرؤي الأسطورية عن ظاهرة الكتاب المقدس والمعمم في المجتمعات، التي خضعت لها منذ قرون وقرون دون أن تستطيع السيطرة عليها، تبدوا اليوم حتمية لا مفر منها"[13]. إن هذه الدراسة العلمية الحالية تلزم دراسة القرآن دراسة أنثروبولوجية، لنفرق بين القرآن وبين المصحف الموجود بين أيدينا، نص كتب وجمع في ظروف سياسية واجتماعية معينة.

نقل أركون المصطلحات الأنثروبولوجية من مجالها العلمي الحديث إلى مجال دراسة التراث الإسلامي، وفي مقدمة هذه المفاهيم مفهوم المخيال (Imaginaire)، لأن الخيال يساهم بشكل كبير في بلورة وتركيب ثقافة المجتمعات ومعتقداتهم، لأن الإنسان يفكر وفق مخيال معين . هذا الأخير يعتبر الحجر الأساس في الأنثروبولوجيا التي تفتح أفق البحث في الثقافة الإنسانية وكيفية تشكل تراثها المعرفي، والثقافة الإسلامية ليست بعيدة عن هذا. ويتجسد ذلك عبر البحث في الثقافة الشفوية والسردية ، من خلال مرحلة نزول القرآن ومرحلة تدوينه، فهي حسب تعبير أركون تساعد

---

[11] المصدر نفسه، ص 230.

[12] محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 231.

[13] محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 84.

على التفكير في اللامفكر فيه، يقول أركون : <<أضف إلى ذلك كله أن عالم الأنثروبولوجيا الحديث يمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة، إنه يمارس عمله هذا بعيدا عن التأويلات التاريخية الإيديولوجيا>>[14].

ونجد محمد أركون يعلن صراحة عن استعمال المناهج الحديثة وفي مقدمتها الأنثروبولوجيا، عن المدونة القرآنية وكتب التفسير حيث يقول: <<فإنه يكفي القول إن التفسير الكبير للطبري (مات عام 923م) لم يتعرض حتى الأن لدراسة علمية تكون في مستواه ومستوى مكانته في تاريخ التفسير القرآني في كله، وهذا النقص أكبر دليل على ان المسلمين لا يزالون يفصلون استهلاك القرآن في حياتهم اليومية على أن يخضعوه للدراسة والتصفح العلمي الحديث. وهناك تفسير آخر كبير يعود إلى شخصية سنية أخرى هي فخر الدين الرازي (مات 1200م) ولا يزال ينتظر أيضا من يستغله علمياً ويطبق عليه المناهج الحديثة"[15]. فمخطوطات هؤلاء يجب ان تخضع لدراسة العلمية وفق المناهج الحديثة المعاصرة لأن هذه المناهج حسب أركون تبين مواطن الخطأ والزيف والتراكم الثقافي لأمة في زمن معين، وتقبل ما يتوافق مع القرآن كما أنزل على محمد (ص).

لقد حاول محمد أركون تطبيق ما يعرف عند الأنثروبولوجيين، بالمثلث الانثروبولوجي. فما الحدود التي يحملها هذا المثلث؟ وما علاقته بدراسة التراث الإسلامي؟، يتكون المثلث الأنثروبولوجي عند أركون من ثلاثة حدود هي: (العنف والمقدس والحقيقة) وكل حد يحلينا إلى معنى معين، حيث نجد أركون يوضح ذلك بقوله : <<وبالتالي ما ينتجه المثلث الأنثروبولوجي الذي شجتنا آية واحدة من القرآن داخله، أقصد آية السيف، المثلث الأنثروبولوجي مؤلف من ثلاثة زوايا قطبية: المقدس ، الحقيقة، العنف. من يمتلك المقدس يمتلك الحقيقة، ومن يمتلك الحقيقة المطلقة يحق له أن يستخدم العنف>>[16]. فالمقدس هو ما لا يقبل الانتهاك، أو المساس به، فيتحول إلى حقيقة مطلقة تعلو على كل عقل إنساني، فتتحول إلى شيء يقيني لا يقبل الطعن أبدا، وهذا الحقية تصبح أوامرها ونواهيها مقدسة لا جدال فيها، حتى وإن أمرت للعنف يصبح العنف فيها مقدس.

يجعل محمد أركون من المقدس ظاهرة أنثروبولوجية، حدثت في المجتمعات والأزمان الماضية، وبهذا فإن المقدس ذو خصائص من بينها أنه يعلو فوق الطبيعة البشرية، فهي ترتبط

---

[14] محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص 7.

[15] محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص

[16] محمد أركون، التشكيل البشري للإسلام، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2013، ص 209.

بالجانب الثقافي للمجتمع، ولا يمكن المساس به، ويري أركون أن فكرة المقدس فكرة مهمة في توليد المعنى وفهم شروطه. لأن ظاهرة التقديس ظاهرة أنثروبولوجية لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات، لأن الدين مبثوث في كل مجتمع ولهذا لكل مجتمع شيء مقدس، ولذلك نجد محمد أركون يقول: <<على أي حال ينبغي الخروج من إطار تلك الإشكالية التيولوجية المغلقة وطرح الأمور على مستوى الأنثروبولوجيا الدينية. وملاحظة من أي مجتمع في العالم يحقق الفصل المطلق والنهائي بين كلا الذواتين الروحية والزمنية / الدينية والدنيوية ذلك ان ظاهرة التقديس، شيء موجود في كل المجتمعات البشرية. إنها ظاهرة أنثروبولوجية فقط تختلف درجة حدتها وأشكال تجلياتها من مجتمع إلى أخر بحسب مستوى تطور الاجتماعي والثقافي>>[17]. فالمقدس ظاهرة أنثروبولوجية وجدت مع التجمعات البشرية، وتختلف فقط في الحدة حسب ثقافة كل مجتمع.

نبه محمد أركون إلى أن التراث الإسلامي حول سيرة النبي محمد (ص)، قد تم كتابتها في سياق حضاري معين، خلط التاريخي بالأسطوري. لكن هذا الخلط في الوقت المعاصر، وخاصة بعد طغيان المادة على حياة البشر جعل التصديق بمثل هذه الادعاءات وهم باطل لذا يجب كتابة سيرة محمد وفق التحليل الأنثروبولوجي للثقافات المكتوبة والشفهية. لأن عالمنا اليوم لا يقبل بأشياء غير عقلية أو واقعية. حيث يقول: <<لم تعد ثقافتنا الحديثة بقادرة على الانغماس في هذا الجو الدي تعتبره جواً سحرياً خرافياً، ولا واقعيًا ولا عقلانياً وخيالياً وعجائبياً... كان الباحث الأنثروبولوجي الإنجليزي جاكغودي، قد بين حجم المسافات العقلية التي يحفرها العقل الكتابي بالقياس إلى العقل الشفهي، وينبغي علينا استعادة أو اعادة كتابة كل سيرة محمد ضمن هذا المنظور من التحليل الأنثروبولوجي للثقافات المكتوبة والثقافات الشفهية>>[18].

ويجب أن نفرق بين المقدس بالإكراه، والمقدس بالإيمان. فالشيء الذي يجعل الظاهرة مقدسة، تقديس إكراه هو المخيال. وهذا ما يعيبه محمد أركون على المقدس. الذي "يجد تجسيده في المخيال انطلقاً من الشعائر والفرائض الدينية المبلورة داخل التصورات اللاهوتية التي تعمل على تحوير الخطاب الموحى وتحويله من الطابع المفتوح والمنفتح إلى الطابع القسري والإكراهي"[19] لأن المجتمعات تعتمد على المخيال وهذا الأخير هو الذي يعطي للشيء قدسيته انطلاقا من ثقافة المجتمع السائدة.

---

[17] مُحَمَّد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص11.

[18] مُحَمَّد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ص94، 95.

[19] مُحَمَّد الشبه، مفهوم المخيال عند مُحَمَّد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص 42.

فالحقيقة مصدرها إلهي، تصدر من خالق يعلو على كل حقيقة موضوعة، فهي حقيقة مبنية على فكرة التوحيد، "فالله هو مصدر الحق والحقيقة والقانون الذي ينبغي للبشر أن يمشوا عليه هُدًا لنيل النجاة الأبدية. إن الحقيقة بهذا المعنى واحدة وغير قابلة للمناقشة، كما أنها تتجاوز كل المعارف الفلسفية والقانونية باعتبارها شمولية وإجبارية، صالحة لكل زمان ولكل البشر"[20]. فالحقيقة التي تصدر من عند مشرع مطلق أزلي هو الله، تتحول إلى حقيقة مفروضة على كل البشر، وتعلوا على كل العقول، لأن هناك حقائق لا يمكن للعقل البشري أن يصلها، وهذا ما بينه كانط من خلال فكرة العقل في حدود الدين.

3/ المبحث الثالث: القراءة التاريخية للنص الديني.

<<وآيا تكن المكانة اللاهوتية للتلفظ الأول بالرسالة فإنه قد حصل مرور من الحالة الشفاهية إلى حالة النص المكتوب، كما حصل تثبت بواسطة الكتابة للرسالة التي بم جمعها ضمن ظروف تاريخية ينبغي ان تتعرض للنقد التاريخي والضبط التاريخي والتحقق التاريخي>>[21].

لقد نزل القرآن مشافهة من جبريل إلى الرسول (ص)، ثم مشافهة من الرسول إلى الصحابة، ثم تم تدوين البعض منه فقط، والبعص الآخر ظل محفوظا في الصدور، إلى غاية عصر عثمان، أين تم كتابة القرآن في كتاب واحد، ما يعرف حاليًا بالمصحف، فهذه المراحل أو المسافة الفاصلة بين التلفظ والكتابة هي ما عير عنها أركون بقوله السابق وآيا تكن المكانة اللاهوتية، فقد مرت بمراحل لا تخرج عن حياة أصحاب كاتبي هذه السير والوحي، فهذه الحياة هي حياة اجتماعية تحيط بها ظروف تاريخية معينه ساهمت في ظهور هذا الحدث، ومهما يكن الشجب فإن القضية تدور حولها الملابسات التاريخية، هذه الملابسات يجب أن تخضع للنقد والتحقق التاريخي.

هذه الظروف التاريخية التي تصنع الحدث، وتصنع كاتب الحدث، لا بد من دراستها دراسة نقدية مع الضبط التاريخي لها، ذاك ما كان يقصده أركون بقوله السابق، لكن دراسة هذا الحدث دراسة تاريخية ألا يجعل من ذلك الحدث تاريخي هو الآخر؟ لنقل بعبارة أكثر وضوحاً. هل أركون يجعل من خلال هذا القول بتاريخية النص الديني؟ أي أنه نص كتب في سياق زمنى واجتماعي وسياسي معين، فهو تاريخي لا قداسة له؟.

---

[20] المرجع نفسه، ص 42.

[21] محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 77.

المخطوطات والوثائق التي وصلتنا من التراث الإسلامي، فيما يخص كتابة الأحاديث التي وردت على النبي من طرف الفرق الإسلامية الثلاث المتضاربة في نقل هذه الأحاديث، أعنى السنة والخوارج والشيعة، فكل منهم يدعي أن كتابه في الأحاديث هو الصحيح. والآخر الذي لدى الطائفتين مزور ومدسوس فيه، فتجاوز هذه الأرثوذكسية المتحجرة حسب اركون، يكون من خلال دراسة هذه المخطوطات الثلاث دراسة علمية نقدية يقول: <<والوضع راهنا لا يزال رازحا عند هذه النقطة، ولا يمكن فك انسداد الوضع أو تحريكه إلا بالقيام بدراسة نقدية صارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة>>[22]. فهذا الموروث المكتوب من الوثائق والمخطوطات والمواد قد أسدل عليها أسدال التقديس لقرون من الزمن، لذا وجي دراستها دراسة نقدية علمية تخلع عنها هذا التقديس الغير مبرر والأخطاء التاريخية والمعرفية التي دست في متنها نتيجة العصبية والانحياز للطائفية.

الخطاب القرآني هو الآخر فيما يخص نموذج العمل التاريخي، ظل بغير تحديد حتى يصلح لكل زمان ومكان، لكن المفسرين والفاعلين الاجتماعيين المسلمين، قد جعلوه مقدس وثابت، ولحد الأن يريدون من النموذج الأول، الذي جعله النبي ان يبقى صالح حتى زمامنا. لكن في الواقع هذا الأمر غير صحيح، لأن زمننا يختلف عن زمن النبي، قد نحافظ على المبادئ لكن الطريقة يجب أن تختلف، فمثلا الزكاة على عهد رسول الله كانت تخرج حبًا. لكن اليوم مع مجتمعنا المعاصر لابد أن تتحول إلى مؤسسة تساهم في تطور المجتمع، وتخرج الزكاة نقدا. وتسير رؤوس أموال الزكاة وتتحول إلى قروض تساعد المسلم.

يذهب محمد أركون إلى تنبيه الباحثين العرب في مجال العلوم الإنسانية للاهتمام بالمناهج المعاصرة في دراسة المخطوطات، فالباحث العربي يقف بوجل وأسى أمام مفترق طرق إما تحقيق المخطوطات القديمة على الطريقة الفيلولوجية والطريقة التاريخية القديمة، وإما تأليف الكتب التاريخية النقدية اعتماداً على مختلف المناهج والعلوم المعاصرة وفي مقدمتها النقد التاريخي، كما ظهر في المنهج التاريخي المعاصر، يقول :<<إن الباحث العربي في ميدان العلوم الإنسانية بعد الخمسينيات يقف لا محالة حائرًا بين اثنين إما أن يعتني بإحياء التراث مفتشا عن المخطوطات القديمة جامعًا لها، محققًا لبعضها على الطريقة الفيلولوجية السليمة معلقا عليها على الطريقة التاريخية المتنوعة لأسماء والأخبار والأماكن والأفكار... وإما أن يميل إلى تأليف الكتب من معلومات وسير وتأويلات ونظريات... وإذا اختار عمل التأليف والاستنباط الانتقادي. لا بد له أن يجتهد اجتهادين مختلفين: يجب عليه أن يتبع الانتاج العلمي الضخم في جميع اللغات وسائر

---

[22] محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص 99.

الميادين من ألسنية وأنثروبولوجيةوانتولوجياوسوسيولوجياوعلم النفس وعلم تحليل النفس والنقد الأدبي والتاريخي... ثم يجب على الباحث العربي أن يلم في نفس الوقت بكل ما ابدع القدماء من نظريات واصطلاحات ومناهج>>[23].

فالمهمة التي تعتري الباحث العربي للتنقيب واعادة فهم التراث الإسلامي بأكمله مهمة ليست سهلة، لأن الباحث العربي على حد فهم أركون لابد أن يتسلح بالعلم والمناهج المعاصرة، لفهم وفك طلاسم القداسة على هذا التراث الذي تحول بمرور الزمن إلى أساطير. ففك هذه العقدة يكون من خلال دراسة مخطوطات التراث دراسة تاريخية نقدية معاصرة، فالتاريخ كمنهج في الفترة المعاصرة لم يعد مجرد جمع سير الرسل وسياسات الملوك في التعامل ووصف مناقب الراجل الخيالية، وإنما تحول إلى منهج علمي نقدي يزيح الأساطير والخرافات وكشف غطاء القداسة على هذا التراث، فهذا ما أردا محمد أركون تطبيقه على التراث الإسلامي لتجاوز هذا الأمر. وإذا تجاوزنا هذه القداسة أصبح التراث الإسلامي تاريخي، أي القول بتاريخية النص الديني الإسلامي وكل التراث.

الخاتمة:

من خلال التحليل السابق لموقف أركون من التراث، وتطبيق المناهج الغربية عليه نستنتج ما يلي:

ـ إن دراسة المخطوطات دراسة ألسنية معاصرة، تكشف عن العلاقة بين الضمائر في الخطاب هذه العلاقة هي التي تزع غطاء اللبس عن الفهم. ذلك أن معرفة هذه العلاقة تحدد سير الخطاب وتوجهه وتنزع غطاء الضبابية عنه. فالقرآن أثر على المستمع من خلال تسامي اللغوي للخطاب للوصول إلى نتائج محددة، وهذا التسامي للخطاب لا يمكن فهمه أو فك غموضه إلا من خلال دراسة ألسنية تكشف مفاصل الخطاب وتوجهه.

ـ فالتحليل الأنثروبولوجي للتراث الإسلامي هو ضرورة ملحة في نظر أركون، فالقرآن انتقل من المشافهة إلى المكتوب عن طريق تأثير مجموعة من العوامل المختلفة، سياسية واجتماعية واقتصادية، في كاتب السير ومدون الخطاب. لذا وجب فهم تركيبة المجتمع آنذاك وفهم العوامل التي أحاطت أثناء كتابته، لأن فهم هذه العوامل تتيح لنا فهم حيثيات ملابسة الخطاب وطريقة كتابته، فنهم الغاية والمقصود من الخطاب.

---

23 محمد أركون، الفكر العربي، تر، عادل العوا، منشورات عويدات، لبنان، ط3، 1980، ص ص 6، 7.

ـ فالدارسة التاريخية للتراث الإسلامي تفضي في نهاية المطاف، إلا نزع القداسة على هذا التراث، ودراسته دراسة علمية صحيحة تقضي على كل أشكال الزيف الأسطوري والتعالي. فالدراسة التاريخية النقدية تنزع كل ما هو خارج عن التاريخ الفعلي للحدث، وإعطائه الحجم الحقيقي له.

دراسة التراث الإسلامي وفق مناهج غربية نشأة في بيئة معينة ونتيجة تراث معين، يختلف طبعا عن التراث الإسلامي، لأن لكل تراث خصوصيته، فتطبيق المناهج الغربية على التراث الإسلامي مباشرة دون تمحيص ولا نقد فيه نوع من الشطط والبركاء عن الفكر الغربي، لذا من الأصح أن ننتج مناهج علمية خاصة تتوافق مع طبيعة التراث الإسلامي وموافقة للغة العربية.

قائمة المصادر والمراجع.

1/ محمد إكون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تر، هاشم صالح، دار الساقي، لبنان، ط1، 1996.

2/ محمد أركون: القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تر، هاشم صالح، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2001،

3/ محمد أركون : الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر، هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط2، 1996.

4/ محمد أركون: التشكيل البشري للإسلام، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2013،

5/ محمد أركون: الفكر العربي، تر، عادل العوا، منشورات عويدات، لبنان، ط3، 1980

6/ بول ريكور: من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقبة، عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2001.

7/ محمد الشبه: مفهوم المخيال عند محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014

8/ مصطفى كيحل: الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011